قضايا ثقافية

حلقة اولى:
المرأة والرجل ومفهوم الايزوتيريك

الانسان المثالي، الانسان المتفوق، هل هو وهم ام حقيقة؟ فإن كان وهماً لأفل مجده وامّحت سيرته من الوجود ... وإن كان حقيقة، فلا شك ان هناك وسيلة او تقنية خاصة توصل الى المرام. ولا يُحتكر التفوّق على الرجال، فالباب مفتوح امام النساء ايضاً. والتاريخ خير شاهد لذلك.

من هذا المنطلق ما فتئ الايزوتيريك – سلسلة علوم باطن بالانسان – يُتحفنا بعشرات المؤلفات التي تعالج المناحي الحياتية العامة والخاصة وحتى الحميمة منها ... وهدفها الانسان دائماً وابداً، هدفها توسّع الوعي الانساني في كشوفات قلّ من توصل اليها ... كشوفات تتماشى مع المنطق العملي والحياتي ويسهل ممارستها والتحقق ذاتياً من إفادتها.

الا يجدر بالانسان الذي يتساءل عن هذا الغموض والمصير المعاكس الذي يكتنف وجوده ويلفّ حياته، تارة بالألم وطوراً بالبؤس او الضيقة الاقتصادية ، ان يتساءل عن الاسباب الخافية وراء كل ذلك ام ان الانسان ارتضى بواقع ضعفه الحالي ظناً منه انها مشيئة القدر ولا مفرّ له غير الرضوخ «للقسمة والنصيب» !!! وان ما كان يتمناه لنفسه صار في «خبر كان».

كيف سيحرر الانسان نفسه من قيود الضعف والتخاذل؟! لعل احلامه تؤكد له امكانية التحرر. لكن ربما يفتقر الى الوسيلة.

منذ مؤلفها الاول (كتاب الانسان)، استهلت علوم الايزوتيريك انطلاقتها في انارة سبل التحقق العقلاني، والعملاني من حقائق الباطن الانساني، التي كانت تعتبر اسراراً في الماضي ... وقدمت للطامحين بتوسّع وعيهم على مداه، أسلوباً تطبيقياً عملياً يوصلهم تدريجاً الى هذا الهدف، والايزوتيريك بتقديمه اسلوب الوعي الحياتي لمجريات الامور، سبق غيره بمراحل.

بشائر وعي جديد احسستها بعد مطالعتي المتعمّقة لكتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك». تأليف الدكتور جوزف مجدلاني (ج ب م). الذي اخذ على عاتقه تقديم معارف وعلوم الايزوتيريك في العالم العربي. حقاً، ان اكثر ما يلفت الانتباه في واقع مجتمعنا هو التمييز المجحف بين الرجل والمرأة ... واكثر ما يلفت الانتباه على مسار الباطن الانساني – الايزوتيريك، هو تساويهما الاساسي». وهذا هو بيت القصيد في هذا الكتاب الكاشف ... والذي قدمه الاب الدكتور يوسف يمّين، والسيدة عايده نصر الله الحلواني (نائبة رئيسة لجنة حقوق المرأة اللبنانية). منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء في ١٩٢ صفحة من القطع الوسط.

يستهل الكتاب بحثه في المرأة والرجل من اين والى اين ... يبحث في غوامض العلاقة بين الجنسين وابعادها من مجمل جوانبها الجسدية والنفسية والفكرية والباطنية والروحية، موضحاً اسباب الظلم والتفرقة والاجحاف والتمييز بحق المرأة، وكيفية مساواتها بالرجل في ضوء الواقع الحياتي المعاش.

لقد سبق الكتاب غيره في تقديم دراسة تاريخية، سوسيولوجية وسيكولوجية في طبيعة المرأة والرجل على مسار الوعي الحياتي الذي هو انعكاس لمدى الوعي الذاتي. يقدم الكتاب ايضاً حقائق ووسائل علمية وتربوية، هي كشوفات من الايزوتيريك عن مستقبل المرأة والرجل، توأم الروح وتوأم الحياة، وعن واقع الوعي المكتمل في اكتمال الجنسين في بعضهما البعض.

يلقي الكتاب اضواء مستقبلية في طبيعة الحب وفي اصول المساواة بين الجنسين للوصول الى التكامل الانساني، فيقول: الحب هو ارتباط وترابط ليس بين جسدين وحسب، بل بين كائنين بكامل مكنوناتهما ... هو علاقة الوعي بالوعي، وعي الرجل يبحث عما ينقصه في وعي المرأة، والعكس بالعكس. الحب انسجام نفسين على درب موحّدة، واندماج روحين في وحدة واعية تؤدي الى *الانصهار في آتون العطاء القدسي*. فالحب *بدون الانسجام* يبقى مشاعر نفس واحاسيس جسد ... فيما الانسجام سعي فكر وارادة وعي. حقيقة الرباط المقدس بالزواج انها تمثل سعي الجنسين الى التوحد كونهما تجسيد وحدة المحبة الالهية.

ومن اهم ما في كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك» انه ذهب الى حيث لم يجرؤ غيره، الى باكورة البوا كير باحثاً منقباً عن روحية المساواة بين الرجل والمرأة، اذ يقول:

«في البدء كان الكلمة، فكان الانسان (الكامل) وكان الوجود. الكلمة كانت واحدة، واحدة المعنى والمبنى. لذلك كان الانسان موحداً، لكن للكلمة صدى في عالم المكان، ولما تجسد هذا الصدى، ورددته الفضاءات والسماوات والازمان، ازدوج الانسان (الكامل) رجلاً وامرأة، يحملان الصفات ذاتها والمعنى نفسه، ولا يمكن ان يختلف معناهما او طريقة وجودهما. مما وجهان لحقيقة واحدة او معنى لكلمة واحدة، وتلك هي كلمة الوجود. فوجود المرأة والرجل كان مرحلة انشطار الحياة وازدواجها ... لا انبثاق بعضها من البعض الآخر! هذا هو الانسان بشطريه الرجل والمرأة، عقل في قلب وقلب في عقل».

ويسترسل الكتاب بجرأة المنطق العلمي في تقديم جديد الايزوتيريك الذي قد يصدم الانسان المتزمّت الذي ما زال متعلّقاً بالتقاليد والاعرافً السائدة ... ويشرّع باب الفكر نحن آفاق معارفية واسعة امام الانسان الباحث المنفتح على كشوفات العصر الجديد؛ لادراك باطن تلك التقاليد والاعراف من حيث فهم مغازيها الكامنة وراء ظاهرها كأسطورة آدم وحواء وجنة عدن والافعى والشيطان والخطيئة ... فهذه القصص على ظواهرها لم تعد ترضي المنطق البشري استناداً الى ما كتبته مجلة نيوزويك الاميركية في عددها تاريخ ٢١ تشرين الاول ١٩٩٦، ومفاده ان هناك اكثر من تسعمئة الف مجموعة في الولايات المتحدة نفسها يتراوح عدد افرادها بين ١٥ – ٢٠ مليون نسمة من جميع الطوائف، تقوم بدراسة قصص التوراة وتفسيرها في ضوء المنطق الحديث، كمقدمة لانبعاث المناقشات الدينية الديموقراطية. فضلاً عن ذلك (اضافت المجلة) هناك ٣٢٧ مجلساً من مختلف الاديان تشجع رعاياها لمناقشة سفر التكوين، بما يتناسب ومفهوم الانسان العصري.

كما ان قناة تلفزيون P B S الاميركية خصصت حلقات اسبوعية مطوّلة على الهواء، وعلى مدى اكثر من عام، استضافت فيها مجموعات فكرية وعلمية من جميع الاختصاصات، بما فيهم كهنوتيّون متخصصون ومثقفون لمناقشة قصص سفر التكوين خاصة، واحداث التوراة عامة. كذلك انشأت قناة تلفزيون P B S شبكة للنقاش على شاشة الكومبيوتر.

والجدير ذكره ان مجلة نيوزويك ابتدأت مقالها بالتالي: اغتصاب، فسق، دعارة، غيرة، طمع، خيانة ... هذا مختصر مفيد لمواد الصحافة. وهذه ايضا مواد سفر التكوين – الكتاب الاول والاكثر شهرة في التوراة. (وأضافت المجلة): هو (سفر التكوين) مزيج من الاساطير والخرافات صاغتها أيد متعددة مجهولة الهوية، محولة تلك الحكايات الشفهية الى التوراة المكتوبة. فالولاء للمبادئ الطائفية يزول، والمعاهد اللاهوتية تنشر نظريات كانت تحسب تجديفا فيما مضى. قيمة النصوص تعتمد على القارئ اكثر من الكاتب. ولذلك اصبح سفر التكوين والتوراة قائمان على متابعات المثقفين. «والجدال بين الحضور لم يكن دائماً مهذباً».

نستشهد بمقتطفات هما ذكرته نيوزويك توضيحاً لما سيذكره الايزوتيريك لاحقاً الله (في سفر التكوين) شخصية فاعلة ومنفعلة، يخلق ويهدم، يبارك ويلعن ... اله يبدو احيانا انه لا يعرف ما يريد، غيور من الانسان الذي خلقه وغير كفوء، ويبدو انه ينقصه التفهم. نص التوراة لا يأتي على ذكر اية خطيئة ! اذن، ما معنى الفاكهة المحرمة، والخطيئة الاولى وقصة آدم وحواء.

وفي تفسيرهم للحية، وافق البعض على ان الحية ترمز الى اليقظة الجنسية لدى حواء... واعترض آخرون على أن الحية رمز الحكمة التي كانت تسعى اليها حواء. وآخرون ذكروا ان تذوق التفاحة هو أول ثمار الحرية الإنسانية، وعارضهم آخرون بالرد، بل الدرس الأقسى، وهو تحمل نتائج اتخاذ القرار الخاطئ فخسر آدم حرية الاختيار الجيد. وفي مناقشة قصة نوح والطوفان، رأوها مناسبة لرفض اله يهدف الى هكذا اجراءات تعسفية، ولومه على تصرفه بطريقة شريرة. فهو دمر ايضاً الحيوانات التي لم تقترف اي ذنب .. وادانوا الله بسابقة خطيرة ادت الى الابادة الجماعية في المانيا النازية. وكان الغضب الانثوي على اشده ضد الديانة اليهودية. والتسامح كان قليلاً. وتختم نيوزويك بالقول (إن اهم ما قدمته المناقشات الحرة هو انها شجعت على تجديد الاهتمام بنص يشكل مع اعمال الاغريق القدماء اللولب المزدوج للمعرفة الذاتية الغربية. وجزء من معرفة الذات هذه هو الادراك بأن الله يتعامل بتحيز ... وان من اختارهم ليحملوا وعوده ضالعون في الخطأ مثل الجميع. فهل حقا (كماتذكر المجلة) ان سفر التكوين كتبه اشخاص راشدون لاناس راشدين ... لا يبوح بأسراره لا للفكر الثاقب والمخيلة الناضجة. والمؤسف ان المحيط العلمي يهمل المخيلة والرؤيا والحدس. وفي المجلة نفسها، كان هناك دراسة تاريخية اثرية كتبتها العالمة شارون بيلي مفادها ان احداث سفر التكوين قد استوحت وقائعها من العادات والتقاليد السائدة لدى شعوب المنطقة في منتصف العصر البرونزي، اي في الالف الثاني قبل الميلاد ... كما اثبتت اللوحات الحجرية المكتشفة، والتي اظهرت الاماكن التي تنقلوا فيها والعادات التي اتبعوها. وان ابطال سفر التكوين قد يكونون وجدوا، وقد لا يكونون ... لكن، مثل اية قصة خرافية تبنى سفر التكوين عادات وتقاليد ذلك العصر بما في ذلك مواقع احداثه، الاتفاق العلمي هو ان لا دليل اثري او غيره يثبت (مصداقية) الإحدى عشر إصحاحا في اول السفر. والامر الخطير انه حتى القصص الاكثر غرابة في سفر التكوين تتشابك مع السجلات التاريخية كما ظهرت في الوثائق المصرية القديمة وقوانين حمورابي ... مما يشكل تسلسلاً فاضحاً في تاريخ احداث سفر التكوين ... اضافة الى معلومات صادمة كثيرة غيرها لا مجال لذكرها هنا.

انطون صباغ

(يتبع: جزء ثان)